مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي

مخطوطة

كشف الكربة في وصف أهل الغربة

المؤلف

عبدالرحمن بن أحمد بن رجب (ابن رجب الحنبلي)

الملاحظات

- أصل هذه النسخة في مكتبة لايبزج، بألمانيا.

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

كتاب كشف الكربة في وصف أهل الغربة

تأليف الشيخ زين الدين عبد الرحمن
ابن رجب الحنبلي تغمده الله تعالى برحمته

كونه واثبات مايستحيل فقده

حف اذا مايت ترجو وارج ان اجبت خايف
كم اتى الدهر بعد فيه لله لطايف

لا اله الا الله غفلنا عن انفسنا بلذيذ مناجاة ربنا واسانا الادب
حيث خالطنا القوم وجانبوهم ولسنا منهم فنرجو الله الكريم المنان
ان يمن علينا كما من عليهم ويلحقنا بهم خوارنا فيسوقنا في مضمار مقاصدهم
فانه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير

يا فاتحا لي كل باب مرتجى اني لعفوك عن مرتجى
فامنن علي بما يكون سعادتي فسعادتي طوعا منى بامرتجى

وبعد فيا اخي الامر بيده وهو المتصرف في ملكه
لا تعترض فيما مضى واشكر لعلك ترتضى
واصبر على مر القضا ان كنت تعبد من قضى

واقول عودا على بدء الحمد لله على كل حال ونسال الله التوفيق
للسداد والنجاة من الغواية ولا حول الا بالله العلي العظيم
وصل الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كتاب كشف الكربة في وصف أهل الغربة

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر ولا تعسر يا كريم

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

خرج مسلم في صحيحه من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء ومن حديث ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدأ وخرجه الامام احمد وابن ماجه من حديث ابن مسعود نحوه في اخره وهي قيل يا رسول الله ومن الغرباء قال النزاع من القبائل وخرجه ابو بكر الاجري وعنده قيل ومن هم يا رسول الله قال الذين يصلحون اذا فسد الناس وخرجه غنيم وعنده قال الذين يفرون بدينهم من الفتن وخرجه الترمذي من حديث كثير بن عبد الله المزني عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الدين بدا غريبا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما افسد الناس بعدي من سنتي وخرجه الطبراني من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديث قيل من هم يا رسول الله قال الذين يصلحون حين يفسد الناس وخرجه ابضا من حديث شريك بن سعد نحوه وخرجه الامام احمد من حديث سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديثه فطوبى يومئذ للغربا اذا افسد الناس وخرج الامام احمد والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال طوبى للغربا قلنا وما الغربا قال قوم صالحون قليل في ناس سوء كثير من يعصيهم اكثر ممن يطيعهم وروى عن عبد الله بن عمرو موقوفا ومو قوفا في هذا الحديث قيل ومن الغرباء قال الفرارون بدينهم يبعثهم الله مع عيسى بن مريم عليه السلام فقوله صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا

غريبا يريد به ان الناس كانوا قبل مبعثه على ضلالة عامة كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث عياض بن حمار الذي خرجه مسلم ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ودعا الى الاسلام لم يستجب له في اول الامر الا الواحد بعد الواحد من كل قبيله وكان المستجيب له خائفا من عشيرته وقبيلته يؤذى غاية الاذى وينال منه وهو صابر على ذلك في الله عز وجل وكان المسلمون اذ ذاك مستضعفين يتردد كل مترد ويتحيرون بدينهم الى البلاد النائية كما هاجروا الى الحبشة مرتين وهاجروا الى المدينة وكان منهم من يعذب في الله ومنهم من يقتل وكان الداخلون في الاسلام حينئذ غربا ثم ظهر الاسلام بعد الهجرة الى المدينة وعز وصار اهله ظاهرين على كل الظهور ودخل الناس بعد ذلك في دين الله افواجا واكملهم الدين واتم عليهم النعمة وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم والامر على ذلك واهل الاسلام على غاية من الاستقامة في دينهم وهم متعاضدون متناصرون وكانوا على ذلك في زمن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ثم اعمل الشيطان مكايده على المسلمين والقى بأسه بينهم وافشى فيهم فتنة الشهوات والشبهات ولم تزل هاتان الفتنتان تتزايد شيئا فشيئا حتى استحكمت مكيدة الشيطان واطاعه اكثر الخلق فمنهم من دخل طائعا في فتنة الشهوات ومنهم من دخل في فتنة الشبهات ومنهم من جمع بينهما وكل ذلك مما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بوقوعه فاما فتنة الشهوات فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم من غير وجه انه اخبر ان امته ستفترق على اكثر من سبعين فرقة على اختلاف الروايات في عدد الزائد على السبعين وان جميع تلك الفرق في النار الا فرقة واحدة وهي ما كان على ما هو عليه واصحابه صلى الله عليه وسلم واما فتنة الشبهات ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف انتم اذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم اي قوم انتم قال عبد الرحمن بن عوف يقول كما امرنا الله قال او غير ذلك تتنافسون ثم تحاسدون ثم تدابرون ثم تباغضون او نحو هذا عون وفي صحيح البخاري عن عمرو بن عوف عن النبي

الله عليه وسلم قال والله ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى عليكم ان يبسط
عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم
كما اهلكتهم ۞ وفي الصحيحين من حديث عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه
وسلم معناه ايضا ولفظه فتحت كنوز كسرى على عهد عمر رضي الله عنه يعني فقال ان
هذا الا يفتح على قوم قط الا جعل بأسهم بينهم اوكما قال ۞ وكان النبي صلى الله
عليه وسلم يخشى على امته هاتين الفتنتين كما في مسند الامام احمد عن ابي برزة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما اخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم
وفروجكم ومضلات الفتن وفي رواية ومضلات الهوى فلما دخل الكثير
الناس في هذين الفتنتين او احدهما اصبحوا مستفاطعين متباغضين
بعد ان كانوا اخوانا متحابين متواصلين فان فتنة الشهوات عمت غالب
الخلق واشتغلوا بالدنيا وزهرتها وصارت غاية قصدهم لها يطلبون
وبها يرضون ولها يغضبون ولها يوالون وعليها يعادون ويقطعوا
لذلك ارحامهم وسفكوا دماءهم وارتكبوا معاصي الله بسبب ذلك واما
فتنة الشبهات والاهواء المضلة فشتتهما تفرق اهل الفتنة وصاروا
شيعا وكفر بعضهم بعضا واصبحوا اعداء وفرقا واحزابا بعد ان كانوا
اخوانا فلو جمعهم على قلب رجل واحد فلم ينج من هذه الفرق كلها الا الفرقة
الواحدة الناجية وهم المذكورون في قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة
من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم او خالفهم حتى يأتي امر الله وهم
على ذلك وهم في اخر الزمان ن الغرباء المذكورون في هذه الاحاديث
الذين يصلحون اذا فسد الناس وهم الذين يصلحون ما افسد الناس من
السنة وهم الذين نهوروا بسببهم من الفتن وهم النزاع من القبائل لانهم
قلوا فلا يوجد في كل قبيلة منهم الا الواحد والاثنان وقد لا يوجد في
بعض القبائل منهم احد كما كان الداخلون في الاسلام في اول الامر كذلك
وبهذا فسر الائمة هذا الحديث ۞ قال الاوزاعي في قوله صلى الله عليه
وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا انه ما يذهب الاسلام

ولكن

ولكن يذهب اهل السنة حتى ما يبقى في البلد منهم الا رجل واحد ولهذا
المعنى يوجد في كلام السلف كثيرا المدح السنة ووصفها بالغربة ووصف
اهلها بالقلة ۞ وكان الحسن البصري رحمه الله يقول لاصحابه يا اهل السنة
توفقوا رحمكم الله فانكم من اقل الناس ۞ وقال يونس بن عبيد ليس شيء اغرب
من السنة واغرب منها من يعرفها ۞ وروي عنه انه قال اصبح من اذا عرف
السنة فرها غريبا واغرب منه من يعرفها ۞ وعن سفيان الثوري قال
استوصوا باهل السنة خيرا فانهم غرباء ۞ ومراده هو الايمان بالسنة طريقة
النبي صلى الله عليه وسلم التي كان عليها هو واصحابه السالمة من الشبهات
والشهوات وهذا كان الفضيل بن عياض يقول اهل السنة من عرف ما
يدخل بطنه من حلال وذلك لان الحلال من اعظم خصال السنة التي كان
عليها النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ۞ ثم صار في عرف كثير من العلماء المتأ
خرين من اهل الحديث وغيرهم ن السنة عبارة عما سلم من الشبهات
في الاعتقادات خاصة في مسايل الايمان بالله وملايكته وكتبه
ورسله واليوم الاخر وكذلك في مسائل القدر وفضايل الصحابة وصفوا
في هذا العلم تصانيف سموها كتاب السنة وانما خصوا هذا العلم باسم السنة
لان خطره عظيم والمخالف على شفا هلكة ۞ واما السنة الكاملة فهي
الطريقة السالمة من الشبهات والشهوات كما قاله الحسن ويونس بن عبيد
وسفيان والفضيل وغيرهم ولهذا وصفها بالغربة في اخر الزمان لقلة من
فيه ولهذا ورد في بعض الروايات كما سبق في سير الغرباء وهم صالحون قليل في
قوم سوء كثير من يعصيهم اكثر ممن يطيعهم ۞ وفي هذا اشارة الى قلة عددهم وقلة
المنجبين منهم والقابلين منهم وكثرة المخالفين لهم والعاصين لهم ولهذا جاء في احاديث
مفسرة منزح الملتمسة بينه في اخر الزمان وانه كالقابض على الجمر ان العامل فيهم
اجر خمسين من قبلهم لانهم لا يجدون اعوانا على الخير ۞ وهو لاء الغربا قسمان احدهما
من يصلح بنفسه عند فساد الناس ۞ والثاني من يصلح ما افسد الناس من السنة
وهو اعلى القسمين وافضلهما ۞ وقد خرج الطبراني وغيره باسناد فيه نظر
من حديث ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء اوادا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من اقبال الدين ما كتم عليه من العمى والجهالة وما يغني الله به وان من اقبال الدين ان يفقه
الفسله ما يترها حتى لا يوجد فيها الا الفاسق والفاسقان فيما مقهوران ذليلان ان
تكلما قمعا وقهرا واضطهدا الاوان من ادبار الدين ان يحفو الفسله ما يترها حتى لا يرى
فيها الا الفقيه والفقيهان وهما مقهوران ذليلان لاحقان على كل اعوانا ولا انصارا
توصف في هذا الحديث المومن العالم بالسنة الفقيه في الدين انه يكون في اخر الزمان
عند فساده مقهورا ذليلا لا اعوانا ولا انصارا • وخرج الطبراني ايضا
باسناد فيه ضعف عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في
حديث طويل ذكر اشراط الساعة قال وان من اشراطها ان يكون المومن
في القبيلة اذل من النقد والنقد هي الغنم الصغار • وفي مسند الامام احمد عن
عباده من الصامت انه قال الرجل من اصحابه تولك ان ظاهر كموه ان ترى
الرجل قد قرا القران على لسان محمد فاعاده وابداه فاحل حلاله وحرم حرامه
ونزل عند منازله لا يجوز فيكم الا كما يجوز راس الحمار الميت • ومنه قول ابن مسعود
سيأتي على الناس زمان يكون المومن فيه اذل من الامه • وانما ذل المومن في اخر الزمان
لعزته من اهل الفساد من اهل الشهوات والشهوات فكلهم يكرهه ويوذيه لمخالفته
طريقه لطريقهم ومقصوده لمقصودهم ومباينته لهم فيما هم عليه • لما مات
داود الطائي قال ان السماء لتبكي داود ونظر بقلبه الى ما بين يديه فاغمى عليه وصرف وجهه
فكانه لم ينظر الى ما انتم اليه تنظرون وكانكم لا تنظرون الى ما اليه ينظر وانتم منه
تعجبون وهو منكم يستحي استوحش منكم انه كان رجلا وسطا منا • ومنهم من كان
يكرهه اهله وولده لاستنكارهم اياه • سمع عمر بن عبد العزيز امراته مره تقول
ارانا الله منك ايام المحن • وذلك ان السلف قديما تصفون المومن بالغربة في زمانهم
كما سبق مثله عن الحسن والاوزاعي وسفيان وغيرهم • ومن كلام احمد بن عاصم الانطاكي
وكان من كبار العارفين في زمانه لسليمان الداراني قال الا ادلك على رجل ليس في الارض منه وما
عاد به الاسلام غريبا كما بدا وعاد وصفه الخوف فيه غريبا ايما ان يزعق فيه الى عالم وجد
مفتونا بحب الدنيا محب التعظم والرياسة وان يزعق فيه الى عابد وجد به جاهلا في
عبادته مخدوعا صريع غدره ابليس قد صعد به الى اعلا درجة العباد وهو جاهل
باذ ذاها فكنه في باعلاها كما يسا ترذ الذين الرعاع فيرجعون وذبابي يخنسه وشباع
ضاريه وتعالب صرارير هذا ومنهم من اهل زمانك من جهله اهل العلم والقران
ودعاه الخلق خرجه ابو نعيم في الحليه فهذا وصف اهل زمانه فكيف بمن جاء بعده
من العظايم والدواهي اي لم يخطر بباله ولم تدر في حياته • وخرج الطبراني من حديث

ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد امتي له اجر شهيد
وخرج ابو الشيخ الاصبهاني باسناده عن الحسن والاوزاعي جلا من الصدر الاول قال ويحك
اليوم ما تعرف من الاسلام شيئا الا هذه الصلاة قال وما والله لئن عاش على هذه
المنكرات فراى صاحب بدعه يدعو الى بدعته وصاحب سنة يدعو الى سنته لعصمه
الله عز وجل وقليله يحيى الى ذلك السلف الصالح فيتبع اثارهم ويسير سيرتهم ويفتح له
كان له اجر عظيم عظيم • وروى المبارك بن فضاله عن الحسن انه ذكر الغنى المترف الذي
له سلطان ياخذ المال ويدعي انه لا عقاب فيه وذكر المبتدع الضال الذي خرج يشهر
على المسلمين وتاول ما انزله الله في الكفار على المسلمين ثم قال فتكم والله الذي لا اله الا هو
يبتلى بين اثنين الجاني والجاهل فاصبر واعظهما فان اهل البدع كانوا اول الناس
الذين لم ياخذوا مع اهل الاترف ابرائهم وكانوا مع اهل البدع اهواهم وصبروا على سفكهم
حتى انوا ربهم فكذا كان سبيلهم والله ازجلا ادركهذه المنكرات يقول
هذا هلم الي ويقول هذا هلم الي فيقول لا اريد سنة محمد صلى الله عليه وسلم نطلبها ونسال عنها
ان هذا لبعرض له اجر عظيم فلقلما كونوا ان شاء الله • ومن هذا المعنى ما روي عن ابي الدرداء رضي
عن كميل بن زياد عن علي رضي الله عنه انه قال الناس ثلاثة فعالم ربان ومتعلم على سبيل النجاة
وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجاوا الى ركن
وثيق نردد كلاما في فضل العلم الى ان قال الا ان هاهنا واشار الى صدره علما لو اصبت
له حملة بل اصيبه اقتضب عليهما مون عليه يستعمل اله الدين لا يستظهر بنعم الله على
كتابه وبنعمه على عباده او منقاد لاهل الحق لا بصيرة له في احد يه ينقدح الشك في قلبه
بارل عارض من شبهه لا ذا ولا ذاك او منهوم بالذات مستشر الفساد للشهوات ومغرى
بجمع المال والادخار وليسا من دعاة الدين اقرب شبها بهما الانعام السارحة اذلك
كذلك ومات العلم بموت حامليه اللهم بلى لن تخلو الارض من قايم لله بحجه لكيلا تبطل حجج الله وبيناته
اولئك الاقلون عددا الاعظمون عند الله قدرا بهم يدفع الله عن حججه حتى يودعوها الى
نظرايهم ويزرعوها في قلوب اشباههم فهجم بهم العلم على حقيقه الامر فباشروا روح اليقين
واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقه
بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في بلاده ودعاته الى دينه هاه هاه شوقا الى رويتهم • فقم
امير المومنين رضي الله عنه هذا العلم الى ثلاثة اقسام • فقسم اهل الشهوات وهم من لا يصرع
له من جهله العلم بل سفرح الشك قلبه ما نزل عارض من سلطه واحتوشه الشبهه فتبع في
الحيره والشكوك وسرح من ذلك الى البدع والضلالات • وقسم اهل الشهوات وهو
نوعان احدهما من ربط الدنيا بتعلم العلم وتحمل العلم الذي للدنيا تعلمها وشهواتها فهو منهوم
بغير العلم وهذا النوع ضربان احدهما من همه جمع الدنيا واكتسابها واذخارها وكانها هو لا
يملك سريع الانفاد له • والثاني من همه جمع الدنيا واكتسابها واذخارها وكانها هو لا
يشبع من دعاء الدين واتباعه كالانعام وهذا نعته الله تعالى من جعل الهوى
بالجاه الذي يحمل اكتسابا او يشبه عالم السوء الذي اسلخ من آيات الله واخلد

شبكة الألوكة www.alukah.net

هواه بالهدى والعلم احسن من الانعام واضل سبيلا • والقسم الثالث من جملة العلم
هم اهله وخلته وزعانفه والغاغون عند الله وبيانه نعوذ بالله ان نكون منهم ولا نزال عددا الاعلمون
الحسن البصري رحمه الله جعله القرآن الى قريب من هذا التقسيم الذي قسمه علي رضي الله
عنه لحملة العلم والى الحسن قرأ القرآن ناشئة اصناف صنف تحذوه بضاعة يأكلون
به وصنف قاموا حروفه وضيعوا حدوده واستطالوا به على اهل بلاده واستذلوا
به الولاة لا شرهذا الضرب من حملة القرآن لا اكثرهم الله • وضرب عمدوا الى القرآن
فوضعوه على اقلوبهم فركد وابه في مجاديعهم وحنوا به في مراسيهم واستشعروا
الخزف وارتدوا الحزن فاولئك الذين شفى الله بهم الغيث وينصر بهم على الاعداء
والله لولا الضرب في جملة القرآن لاعزم الكرب الاحمر وآخر ان هذا القسم هم الذين
قرأوا القرآن به وجعلوه ذو القلوبهم فاثارهم الخوف والحزن اعزم الكرب الاحمرين
قرأ القرآن • ووصف امير المؤمنين رضي الله عنه هذا القسم من جملة العلم بصفات
منها انهم بصر العلم على حقيقته الامر ومعنى ذلك ان العلم دلهم على المقصود الاعظم
منه وهو معرفة الله فاحافوه واحبوه حتى سهل بذلك عليهم كل ما نه سوء على غيرهم من
لم يصل الى ما وصلوا اليه ممن وقف على الدنيا وزهرتها واغتر بها ولم يباشر قلبه
معرفة الله وعظمته واجلاله والذلك قال قائلا نوا ما استوعرت المترفون
فان المترف الواقف مع شهوات الدنيا ولذاتها يصعب عليه ترك لذاتها وشهواتها لا
عوض عنده من لذات الدنيا اذا نزلها • ولا بصر على تركها وهو لا في قلوبهم العرض الادنى
مما وصلوا اليه من لذة معرفة الله ومحبته واجلاله كما كان الحسن يقول ان احب الله هم
الذين ذاقوا حلاوة الخوف فاتعبهم مما وصلوا اليه من مناجاته فحيدهم وما وجدوا
من لذاحيه في قلوبهم في كلام يطول ذكره هضا في هذا المعنى وانما اسهر هؤلاء ما استبان من ضيعة
الجاهلين ان الجاهلين بالله يستحسنون غير ترك الدنيا وشهواتها لا يعرفون سواها ولا يستحسنون
ومعرفة ومحبة وبلا معرفة بالله يستحسنون من ذلك الا يحرمون الامن
ومن صفاتهم التي وصفهم بها امير المؤمنين رضي الله عنه انهم صحبوا الدنيا بابدان
ارواحها معلقة بالمحل الاعلى • وهذا اشارة الى ان همم هؤلاء لم تتخذ الدنيا وطنا ولا رضوا
بها اقامة وسكنا انما اتخذوها سفرا ولم يجعلوها مستقرا وجمع الذي قال الرسل اوصف
نعمة وذلك خبر الله تعالى عن موسى فرعون انه قال لقومه في جملة وعظهم ياقوم
انما هذه الحيوة الدنيا متاع وان الاخرة هي دار القرار • وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لابن عمر كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل في رواية وعد نفسك من اهل القبور
وصف امير المؤمنين عنه عليه السلام انه قال لاصحابه اعبروها ولا تعمروها
تغروها • وعنه انه قال مثل الذي يبني على موج البحر داركا مثل الذي

وارا فالمؤمن في الدنيا كالغريب الجتاز بلدة غير مشتوطن وانما هو يستاق الى بلده وهو
الرجوع اليه والتزود لما يوصله في طريقه الى وطنه والناس امر اهل ذاك البلد المستوطنين
فيه في عزهم ولا يجزع مما اصابه عندهم من الذل • وقال فضيل بن عياض المؤمن في الدنيا
مهموم حزين همه مرمته جهازه • وقال الحسن المؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها
ولا يتباهى بعز اهله شأن والناس شأن • وفي الحقيقة فالمؤمن في الدنيا غريب لان
اباه انما كان بها لكرار السفينة اخرج منها فهو الرجوع الى مسكنه الاول فهو ابدا يحن الى
وطنه الذي اخرج منه كما قال حب الوطن من الايمان • وكما قيل

وكم منزل في الارض الفته النفي • وحببت اليه الاول منزل

وبعض شيوخنا في هذا المعنى فتح على حناك عذبا فانها مناراك الاول وفيها المحبتم

ولكننا سبي العدو وفضل نرى • نعود الى اوطاننا ونسلم
وقد زعموا ان الغريب اذا نأى • وشطت به اوطانه هو مغرم
واي اغتراب فوق غربتنا التي • لها اصبحت الاعداء فينا تحكم

والمؤمنون في هذا اقسام منهم من قلبه معلق بالجنة ومنهم من قلبه معلق بخالقه
وهم العارفون واعلى الامير المؤمنين انما اشار الى هذا القسم والعارفون ابدانهم في الدنيا
وقلوبهم عند المولى • قوله سئل الحسن عن الشيء صلى الله عليه وسلم برؤية الله عز وجل
عز وجل والعلامة الطهران يكون ولنا العبد عندي معلقا واذا كان ذلك كم يبقى
على حال واذا كان ذلك لم يشغل عليه الا شتغال بكلا نساني واذا انسيء حركت قلبه
وان تظلم لي وان سكت شكت لي وذلك الذي بات اليعونة عندي • واهل هذا الشان
هم غربا الغربا وغربتهم اعز الغربة عند اهل الطريقة غربتان ظاهرة وباطنة والظا
غربة اهل الصلاح من الفساق وغربة الصادقين من اهل الرياء والنفاق وغربة العلما
من اهل الجهل وسوء الاخلاق وغربة هذا الاخرة من اهل الدنيا الذين لبسوا الخشوع
وغربة الزاهدين من الراغبين في كل ابتقد وليس بفاق • واما الغربة الباطنة وغربة
الهه وهي غربة العارف من الخلق كلهم حتى العلما والعباد والزهاد فان اولياء الله تعالى
مع علمهم وعبادتهم وزهدهم وهم لا يوافقون مع معبودهم لا يعرجون بقلوبهم عنه •
كان ابو سليمان يقول في وصفهم همهم غير همم الناس وارادتهم غير ارادة الناس
ودعاؤهم غير دعا الناس • وسئل عن افضل الاعمال فقال ان تطلع على قلبك ولا يرى ان
يريد من الدنيا والاخرة غيره • قال يحيى بن معاذ الزاهد غربة الدنيا والعارف غربة
الاخرة حشر الى ان الزاهد غريب بين اهل الدنيا والعارف غريب بين اهل الاخرة لا يعرفه
العباد ولا الزهاد وانما يعرفه من هو مثله وهيهات وهيهات اجتمعت للعارف هذه
الغربات كلها او كثير منها او بعضها فلا تسأل عن غربته حينئذ فالعابد
لاهل الدنيا والاخرة والعارفون مستورون عن اهل الدنيا والاخرة •

www.alukah.net

العابد مشهور والعارف مستور وربما خفي حال العارف على نفسه لجهلها حالته واباحة الظن
نفسه قال لهم ما ارى هذا الامر الا في رجل لا يعرف الا بحمق نفسه ولا يعرفه الناس
وفي حديث سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد الخفي التقي وفي حديث عباد
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب من عباده الاخفياء الاتقياء الذين اذا حضروا لم يعرفوا
وان غابوا لم يفتقدوا اولئك ائمة الهدى ومصابيح العلم وعن علي رضي الله عنه قال طوبى لكل عبد نومة
عرف الناس ولم يعرفوه الناس وعرفه الله منه برضوان اولئك مصابيح الهدى تجلى عنهم
كل فتنة مظلمة وقال انس ما شهد احد دفن الغلوب حتى اثنى عليه خيرا فقلنا له بم تطلع
تحمدون على اهل الارض وتعرفون في اهل السماء فهو لاء اخص اهل الغيبة وهم الغرباء ون
بينهم من الفتن وهم النباع من القبائل الذين يحشرون مع عيسى بن مريم عليه السلام وهم
من اهل الاخرة اعز من الكبريت الاحمر تكف عنهم اهل الدنيا ويخفى اخوالهم عالما
على الفرقدين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابي هريرة فيما يرى النائم
ولو شاء الله لاراه ما سمي ما دريت وان مكانا في ما هو من مكان
قال ومن طهرين نبيهم للناس فيوشك ان يسيد
امير المومنين في وصفهم وكما قيل
حبيبي معي غير ان الروح عندكم والجسم في غربة والروح في وطن
وكانت رابعة تنشد في هذا المعنى
ولقد جعلتك في الفواد محدثي واخت جسمي من اراد جلوسي
والجسم مني الجليس موانس ولحبك في الفواد انيسي
والكثرة لا يقوى على محو الظلمة الخلق مع بقاء الخلوة بحبيبه ولهذا قيل الكثرة بطل
الوحدة وقيل لبعضهم الا تستوحش قال كيف استوحش وهو يقول الجليس
من ذكرني وقال الخر وهل استوحش مع الله احد وعن بعضهم من استوحش
من وحدته فما ذاك لعلة انت بربه كان يحيى بن معاذ كثير الحزلة والانفراد
فعاتبه اخوه فقال له ان كنت من الناس فلا بد لك من الناس وان كنت من
الناس فلا بد لك من الله وقيل اذا هجر الخلق مع من يعيش وامع من هجر تهم له
وانشد ابو هاشم بن لاهم في هذا المعنى
هجرت الخلق طرا في رضاكا وايتمت العيال لكي اراكا
فلو قطعتني في الحب ربا لما حن الفواد الى سواكا
وعوتب عتبة بن غزوان على خلوته فقال الي انست راحة قلبي في مجالسة من لديه حاجتي والخير بيده
من الناس وربما سبب بعض المجنون لبعد حاله من احوال الناس كان ابو سليمان يقال ذاك
عنه وقال ابو مسلم للحوارين اشر الظهر الذكر لا يعرف شاة فقال رجل لحاشيته المجنون
صاحبكم قال ابو مسلم لا اراكم الا احمق ولكن هذا ذكر المجنون وفي الحديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم اذكروا الله حتى يقولوا مجنون وقال الحسن في صفتهم اذا نظروا ظنهم الجاهل

ويدخلون في الدين ما ليس منه من اهل الاهوا وما دام العلم باقيا في الارض
فالناس في هدى وبقا العلم بقا حملته فاذا ذهب حملته ومن يموت منه وبع
الناس في الضلال كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الرجال ولكن يذهب العلم بذهاب
العلما فاذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم
فضلوا واضلوا وخرج الترمذي من حديث عمرو بن عوف عن ابي الدرداء
قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال هذا اوان يختلس العلم من الناس حتى
لا يقدروا منه على شيء وقال زياد بن لبيد كيف يختلس منا العلم وقد قرانا القران
فوالله لنقرانه ولنقرئنه نساءنا وابناءنا فقال ثكلتك امك يا زياد ان كنت
لاعدك من فقها المدينة هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فما
تغني عنهم قال جبير بن نفير فلقيت عباده بن الصامت فقلت الا تسمع ما
يقول ابو الدرداء فاخبرته بالذي قال فقال صدق ابو الدرداء لو شئت
لاخبرنك باول علم يرفع من الناس الخشوع يوشك ان تدخل مسجد الجامع
فلا ترى فيه خاشعا وخرجه النسائي من حديث جبير بن نفير عن عوف
بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وفي حديث قد ذكر صلى الله عليه
وسلم صلاله اليهود والنصارى على ما في ايديهم من كتاب الله قال جبير
فلقيت شداد بن اوس فحدثته حديث عوف فقال صدق الا اخبرك باول
ذلك يرفع الخشوع حتى لا ترى خاشعا وخرج الامام احمد نحوه من
حديث زياد بن لبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر شيا فقال ذاك
عند اوان ذهاب العلم فذكر الحديث وفيه قال اولس اليهود والنصارى
يقرون التوراة والانجيل لا يعملون بشيء مما فيهما ولم يذكر ما بعد هذا
في هذه الاحاديث انه ذهاب العلم بذهاب العمل به وان الصحابة فسروا
ذلك بذهاب العلم الباطن من القلوب واوله الخشوع وكذا روي عن حذيفة
ان اول ما يرفع من العلم الخشوع فان العلم عيان كما قال الحسن العلم علمان
علم على اللسان وذاك حجة الله على ابن ادم وعلم في القلب فذاك العلم النافع

وروى عن الحسن مرسلا عن النبي صلى الله عليه وسلم ۝ وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال ان قواما يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم وانما اذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع فالعلم النافع هو ما باشر القلب فاورقبه من الله وعظمته وخشيته واجلاله وتعظيمه ومحبته ومتى سكنت هذه الاشياء في القلب خشع فخشعت الجوارح كلها تبعا لخشوعه ۝ وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اعوذ بالله من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع وهذا يدل على ان العلم الذي لا يوجب الخشوع للقلب هو علم غير نافع ۝ وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يسأل الله علما نافعا ۝ وفي حديث اخر قال سلوا الله علما نافعا وتعوذوا بالله من علم لا ينفع ۝ واما العلم الذي على اللسان فهو حجة الله على ابن ادم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم القرآن حجة لك او عليك فاذا ذهب من الناس العلم الباطن بقي العلم الظاهر على الالسنة حجة مرتبة هذا العلم الذي هو حجة بذهاب حلته ولا يبقى من الدين الا رسمه فيبقى القرآن في المصاحف ثم نسري به في اخر الزمان فلا يبقى منه في المصاحف ولا في القلوب شئ ۝ ومن هنا قسم من قسم من العلماء العلم الى باطن وظاهر فالباطن ما باشر القلوب فاثمرها الخشية والخشوع والتعظيم والاجلال والمحبة والشوق والانس والظاهر ما كان على اللسان فقد تقوم حجة الله على عباده ۝ ولكنه ذهب من منبعه الى مجهول انك لم تزد فاصبت بما ظهر من علم الاسلام شرفا فاطلب بما بطن من علم الاسلام محبة وزلفى ۝ وفي رواية اخرى انك لست اليه انك قد بلغت بظاهر علمك عند الناس منزلة وشرفا فاطلبه بباطن علمك عند الله منزلة وزلفى واعلم ان احد المنزلين يمنع من الاخرى فاستار وهب بعلم الظاهر الى علم الفتاوى والاحكام والحلال والحرام والقصص والوعظ وهو ما ظهر على اللسان وهذا العلم يوجب لصاحبه محبة الناس له وعندهم يحمده من الوقوف عند ذلك والركون اليه والالتفات الى تعظيم الناس ومحبتهم فان من وقف مع ذلك فقد انقطع عن الله وانحجب بنظره الى الخلق عن الحق واستار بعلم الباطن الى العلم الذي باشر القلب فحرك الخشية والاجلال والتعظم

وامره ان يطلب بهذا المحبة من الله والقرب منه والزلفى لديه وكان كثير من السلف كسفيان الثوري وغيره يقتسمون العلم الى ثلاثة اقسام ويقولون عالم بالله عالم بامر الله ويشيرون بذلك الى من جمع بين هذين العلمين المشار اليهما الظاهر والباطن وهو لا اشرف العلماء وهم الممدوحون في قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا الى قوله ويزيدهم خشوعا ۝ وقال كثير من السلف ليس العلم كثرة الرواية ولكن العلم الخشية ۝ وقال بعضهم يخشى الله عالما وكفى بالاغترار بالله جهلا ويقولون ايضا عالم بالله ليس بعالم بامر الله وهم اصحاب العلم الباطن الذي يخشون الله ولا انتفاع لهم في العلم الظاهر ويقولون عالم بامر الله ليس بعالم بالله وهم اصحاب العلم الظاهر الذي لا انتفاع لهم في العلم الباطن وليس لهم خشية ولا خشوع وهؤلاء مذمومون عند السلف ۝ وكان بعضهم يقول هذا هو العالم الفاجر وهؤلاء الذين وقفوا مع ظاهر العلم ولم يصل النافع الى قلوبهم لاشتغاله بما رانحه غلبت عليهم الغفلة والقسوة والاعراض عن الاخرة والتنافس في الدنيا وحبه العلو فيها والتقدم بين اهلها وقد منعوا الحسان الظن من نزل العلم النافع الى قلبه فلا يحتونهم ولا يجالسونهم ويرمونهم بالرياء ويقولون ليسوا بعلماء وهذا من خداع الشيطان وغروره ليحرمهم الوصول الى العلم النافع الذي يحمد صاحبه الله ورسوله وسلف الامة وائمتها وهذا المعنى كان علما الذين يعظمون عملا الاخرة ويسعون في اذلالهم وجحدهم كما شعواذي سعيد بن المسيب والحسن وسفيان ومالك واحمد وغيرهم من العلماء الربانيين وذلك لان علماء الاخرة خلفا الرسل وعلى اثرهم وهم شبيهون من اليهود وهم اعداء الرسل وقتلة الانبياء وبامر بالقسط من الناس وهم اشد الناس حسدا وعداوة للمؤمنين واشدهم بغضا لمن يعظمون علما ولا دينا وانما يعظمون المال والجاه والمقدم عند الملوك كما قال ابو سليمان الداراني للحارث بن اسد المحاسبي ان لك علما وفقنا قال الحارث اقول ان لك شرفا واراك قد رضيت قال ابو سليمان والله لان تصغر ما عظم الله وتعظم ما صغر الله وكبر من يدعي العلم الباطن ويتكلم فيه وينتصر عليه بذم العلم الظاهر الذي هو الشرايع والاحكام والحلال والحرام ويطعن في اهله ويقول هم محجوبون واصحاب قشور وهذا نوع التدبر في الشريعة والاعمال الصالحة التي جاءت الرسل بالحث عليها والاخبار بها وربما اخل بعضهم عن البكالية وادعى انها للعامة وانما من وصل والاحاجة له اليها وانها حجاب له وهو لاء كما قال الجنيد وغيره من العارفين وصلوا والى سقر وهذا من اعظم خداع الشيطان وغروره وهو اول منزل سلكه اهل حتى اخرجهم عن الاسلام ومنهم من ظن ان هذا العلم انما يطلق من مشكاة النبوة وانما ينبغي من الخواطر والالهامات والكشوفات فاساء الظن بالشريعة الكاملة حيث ظنها ناقصة لم تدل على هذا العلم النافع الذي يوجب صلاح القلوب وفرسان

العبد وادخل لهم ذلك الاعوام عما جاء به الرسول في هذا الباب بالكلية والتكلم فيه بمجرد
والخواطر فضلوا واضلوا وظهر بهذا ان اكمل العلماء وافضلهم العلماء بالله العلماء بامر
الله الذين جمعوا بين العلمين وتلقوهما معا من الوحيين اعني الكتاب والسنة وعرفوا
كلام الناس في العلمين عرضا على ما جاء في الكتاب والسنة فما وافق قبلوه وما خالفه ردوه
وهؤلاء خلاصة الخلق وهم افضل الناس بعد الرسل وهم خلفا الرسل حقا وهؤلاء كثير
في الصحابة كالخلفاء الاربعة ومعاذ وابي الدرداء وسلمان وابن مسعود وابن عمر وابن
عباس وغيرهم وكذلك ممن بعدهم كالحسن وسعيد بن المسيب وعطا وطاوس ومجاهد
وسعيد بن جبير والنخعي ويحيى بن ابي كثير ومن بعدهم كالثوري والاوزاعي واحمد وغيرهم
من العلماء الربانيين وقد سلمهم على بن ابي طالب رضي الله عنه العلماء الربانيين تشير الى انهم
الربانيون الممدوحون في غير موضع من كتاب الله عز وجل فقال الناس بلا نه عالم رباني
ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع ثم ذكر كلاما مطولا وصفه فيه بالسؤدد والعلم
الرباني وقد شرحناه في غير هذا الموضع والمقصود ههنا ان الناس العالم سبيله
موصل الى الجنة وفي الحديث المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة
فارتعوا قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر وكان ابن مسعود اذا ذكر هذا الكلام يقول
اما اني لا اعني القصاص ولكن حلق الفقه وروي عن ابن مسعود ايضا وقال عطاء الخراساني
مجالس الذكر مجالس الحلال والحرام وكيف تشتري وتبيع وتصلي وتصوم وتنكح وتطلق
وتحج وانشاه هذا وقال يحيى بن ابي كثير درس الفقه صلاة وكان ابو السوار العدوي في
حلقة يتفاكرون العلم ومعهم فتى شاب فقال لهم قولوا سبحان الله والحمد لله فغضب
ابو السوار وقال لحك في ان تكونا اذى والمراد من هذا ان مجالس الذكر لا تختص بالمجالس
التي يذكر فيها اسم الله بالتسبيح والتكبير والتحميد ونحوه بل تشمل عامة امر الله ونهيه
وحلاله وحرامه وما يحبه ويرضاه فانه ربما كان هذا الذكر انفع من ذلك لان معرفة
الحلال والحرام واجبة في الجملة على كل مسلم بحسب ما يتعلق به من ذلك واما ذكر
الله باللسان فان كثره يكون تطوعا وقد يكون احيانا كالذكر في الصلوات المكتوبة
واما معرفة ما امر الله به ورسوله عنه وما يحبه ويرضاه وما يكرهه وينهى عنه فيجب على
كل من احتاج الى شيء من ذلك ان يتعلمه وهذا يدخل في طلب العلم فرضه على كل مسلم فانه
يجب على كل مسلم معرفة ما يحتاج اليه في دينه كالطهارة والصلاة والصيام ويجب
على كل من نزل به مال معرفة ما يجب عليه في ماله من زكوة ونفقة وحج وجهاد وكذلك يجب على من
يبيع ويشتري ان يتعلم ما يحل ويحرم من البيوع كما قال عمر لا يبيع في سوقنا الا من قد تفقه
في الدين خرجه الترمذي ويروى فيه ضعيف عن علي وقال الفقه قبل التجارة انه من اخر

قبل ان يتفقه فقد ارتطم في الربا ثم ارتطم ن وسئل ابن المبارك ما الذي يحب على الناس من
تعلم العلم ثم فسره وقال لو ان رجلا لم يكن له مال لم يكن عليه واجبا ان يتعلم الزكوة فاذا كان
له مائتا درهم وجب عليه ان يتعلم ثم يخرج ومتى يخرج وابن يضع وسئل الاشياء على
هذا ن وسئل الامام احمد عن الرجل ما يجب عليه من طلب العلم فقال ما يقيم به
الصلوة وامر دينه من الصوم والزكوة وذكر شرائع الاسلام وقال ينبغي له ان
يتعلم ذلك وقال ايضا الذي يجب على الانسان من العلم ما لا بد له منه في صلاته
واقامة دينه واعلم ان علم الحلال والحرام علم شريف ومنه ما تعلم فرض عين
ومنه ما هو فرض كفاية وفرض العلما على ان تعلم افضل من نوافل العبادات
منهم احمد واسحق وكان تمام السلف يتوقون الكلام فيه ويرونه الا ان المتكلم فيه
مخبر عن الله بامره ونهيه مبلغ عنه شرعه ودينه ن كان ابن سيرين اذا سئل
عن شيء من الحلال والحرام تغير لونه وتبدل حتى كانه ليس بالذي كان وقال عطاء بن
السائب ركبت القوم اما ان كان احدهم ليسئل عن الشيء فيتكلم كانه ليرعد وروي عن مالك
انه كان اذا سئل عن مسئلة كانه من الجهنم والنار وكان احمد شديد التورع في اطلاق
لفظ الحرام والحلال ويدعوا السمح ونحو ذلك وكان هو ومالك وغيرهما يقولون لم ار كلاك اندري
وكان احمد يقول ذلك في مسئل ذكر فيها للسلف اقوال لا عدده ويريد بقوله لا ادري الراجح
المفتي به من ذلك ومن مجالس الذكر ايضا مجالس العلم التي يذكر فيها بفسير كتاب
الله او يروى فيها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان طالت رواية الحديث
مع يسير معانيه وذلك لكمال ادوات من يحدث به الخاطب ويدخل في الفقه في
الدين كل علم مستنبط من كتاب الله او سنة رسوله سئوا كان من علوم الاعمال
سلام التي هي الاعمال الظاهرة والاقوال او من علوم الايمان التي هي الاعتقادات
الباطنة وادلة ذلك وشواهده المفرقة في الكتاب والسنة او من علوم الاحسان
التي هي علوم المراقبة والمشاهدة بالقلب ويدخل في ذلك علم المحبة
والرجاء والانابة والصبر والرضا وغير ذلك من المقامات وكل ذلك وسماه
النبي صلى الله عليه وسلم في حديث سوال جبريل له دينا فالفقه فيه من الفقه في
الدين ومجالسه من اجل مجالس الذكر التي هي من رياض الجنة وهي اعلى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

محالس الله بالتسبيح والتكبير والتحميد لانها دائرة بين فرض من وفرض كفايه
والذكر المجرد تطوع محض وقد دخل بعض السلف مسجد البصره فراى فيه
حلقتين فى احديهما قاص وفى الاخرى فقيه فعلم الفقه فصلى ركعتين واستخار
الله فى الجلوس الى احديهما فنعس فراى فى نومه قايلا يقول له اوفقت سنة
ان شئت او نالت وقد جبريل عليه السلام من فلان يعنى الفقيه الذى يعلم العلم
وسنذكر فيما بعد النصوص الدالة على فضل العلم على انواع العبادات من الذكر
وغيره ان شاء الله تعالى وكان زيد بن اسلم من جلة علماء المدينة وكان له مجلس فى
المسجد يذكر فيه التفسير والحديث والفقه وعزز ذلك فجاء اليه رجل فقال له انى
رات بعض اهل السما وهو يقول لاهل هذا المجلس هو لاء فى روضات الجنة امتون
نراه ايزل على اهل المجلس حوفاطرنا فوضعه بين اليديه ن وخارجل اليه فقال
له انى رايت النبى صلى الله عليه وسلم يقول انطلقوا بنا الى زيد نخالسه ونسمع
من حديث فجا النبى صلى الله عليه وسلم حتى جلس الى جنبك واخذ يدك وابن
زيد بعد هذه الرواية الا قليلا حتى مات رحمه الله ومع ماذكرنا من تفضيل
العلم على القصص فالعالم لا يستغنى احيانا عن موعظة الناس والقصص عليهم
والاله قسوة قلوبهم بالذكر لها لله وايامه فان القران يشتمل على ذلك كله والفقيه
العالم حقا هو من فهم كلام الله واتبع مافيه كما قال على الفقيه حق الفقيه من لا يقنط
الناس من رحمة الله ولا يرخص لهم فى معاصى الله ولا يدع القران رغبة عنه الى غيره وقد
كان النبى صلى الله عليه وسلم يخول اصحابه بالموعظة خشية السامة عليهم
قوله صلى الله عليه وسلم وان الملئكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى
وخرج ابن ماجه من حديث ابن حبيش قال اتيت صفوان بن عسال فقال ما جا
بك قلت ابتغاء العلم قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من خارج
يخرج من بيته فى طلب العلم الا وضعت له الملئكة اجنحتها رضى بما يصنع وخرج
الترمذى وغيره موقوفا على صفوان وقد اختلف الناس فى وضع الملائكة اجنحتها
فمنهم من حمله على ظاهره وان المراد من يسر الاجنحة وبسطها لطلاب العلم تعظيما عليها
الى مقاصدهم من الارض التى يطلبون فيها العلم اعانه لهم على الطلب وتيسيرا عليهم
وقد سمع هذا الحديث بعض الجهلة فقال لطالب العلم ارفعوا ارجلكم عن اجنحة

الملائكة لا تكسروها فيستهزى بذلك فما زال من موضعه حتى خفت رجلاه وسقط
وروى عن اخر انه قال لا كسرن اجنحة الملائكة فوضع له بعلاطرفها بساميكسره
يمشى بها الى مجالس العلم فخفت رجلاه ووقع فيها الاكله ومنهم من فسر وضع
الملائكة اجنحتها بالتواضع منهم والخضوع لطلاب العلم كما فى قوله تعالى واخفض
جناحك للمؤمنين لمن اتبعك من المؤمنين وفى هذا نظر لان للملئكة اجنحة حسنة
بخلاف البشر ومنهم من فسر ذلك بان الملئكة تحف باجنحتها مجالس الذكر الى
السما كما جا ذلك صريحا فى حديث ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم وورد له
فى بعض الفاظ حديث صفوان بن عسال مرفوعا ان طالب العلم لتحفه الملئكة
وتظله باجنحتها ثم يركب بعضهم بعضا حتى يبلغوا الى السما من حبهم لما يطلب
ولعل هذا القول اشبه والله اعلم قوله صلى الله عليه وسلم وان العالم ليستغفر
له من فى السموات ومن فى الارض حتى الحيتان فى الما وقد اخبر الله تعالى فى كتابه
ما يستغفر ملائكة السما للمومنين عموما بقوله الذين يحملون العرش ومن حوله
يسبحون بحمد ربهم ويومنون به ويستغفرون للذين امنوا وقوله والملئكة يسبحون
بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض فهذا للمومنين عموما فاما العلما فيستغفر لهم
اهل الارض حتى حيتان البحر وخرج الترمذى من حديث ابى امامة عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال ان الله وملئكته واهل السموات واهل الارض حتى النملة فى
جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير وصححه الترمذى وخرج
الطبرانى من حديث جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعالم الخير يستغفر له كل شئ
حتى الحيتان فى البحر وروى من حديث ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم
العلما ورثة الانبيا تحفهم اهل السما وتستغفر لهم الحيتان فى البحار اذا ماتوا الى
يوم القيمة وورد الاستغفار ايضا لطالب العلم فى مسند الامام احمد عن
قيصة بن الحارث قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما جاك قلت
كبرت سنى ورق عظمى فاتيتك لتعلمنى ما سمعته من الله قال ما قيصة ما مررت
بحجر ولا بمدر ولا شجر الا استغفر لك وقد دل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا
الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا هو الذى يصلى عليكم وملئكته ليخرجكم
من الظلمات الى النور على ان الله وملائكته يصلون على اهل الذكر و

شبكة الألوكة www.alukah.net

من افضل انواع الذكر كما سبق بتقريره • وخرج الحاكم من حديث سليم
بن عامر قال جاء رجل الى ابي امامة فقال انا اسامة الى ابيات في بناتي كان للملة
نصلي عليك كلما ذكرتك وكلما خرجت وكلما قمت وكلما جلست • وقال ابو امامة
اللهم اغفر دعونا عنك وانيم لو نبيم نصلت عليك الملئكة برفرافها الذين منوا
اغفر لاحيائنا واستغفر لاحيائنا وبلاه واجيلا هو الذي يصلي عليك وملئكته الابيه •
وقد ذكر بعضهم الستر في استغفار دوات الارض العلما وقوان العلما يطهرون الناس
بالاحسان الى المخلوقات كلها وباجابة فيما يحتاجون اليه ومنه ما يحتاجون اليه
فيتعلق بهم الحيوانات كلها فلذلك يستغفر لهم كل شيء حتى الحيتان في البحر وهو
ان سائر المخلوقات مطيعه لله قائمة له منقادة له غير عاصية النقلين الجن والانس
وكل الخلق المطيعين لله يحبون اهل طاعته فكيف من دعى الخلق الى طاعة الله
وحضهم عليها والعلم هو نور الله في الارض به يعرف الله ويعبد ويوحد وطاعته
فمن كانت هذه صفته فان الله يحبه ويزكيه ويثني عليه ويامر عباده من اهل
السما والارض وسائر خلقه بحبته والدعاله وذلك هو صلاتهم عليه وجعل الله الوداد
وملوك عباده المومنين كما قال تعالى ان الذين منوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن
ودا والاخص بحبت تالحيوانات بل بحبة الجمادات ايضا كما جاء في تفسير قوله تعالى
فما بكت عليهم السما والارض ان السما والارض تبكي على المومن اذا مات اربعين صباحا
وفي الحديث ان الارض تقول للمومن اذا دفن ان كنت لاحب من يمشي على ظهري وسترى
ادصرفا الى بطني صنيعي بك وانما بعض المومن والعالم عصاه التقلين لا يعصيهم
لله امضت تقدم انهم يشفعون بحبه الله وطاعته وكرهوا طاعة الله واهل
طاعته ومن احب الله واهل طاعته احب اهل العلم طاعته وخصوصا من دعى الى طاعته
وامر الناس بها وحثهم عليها وايضا فان العلم اذا ظهر في الارض وعمل به درئت البركات
وبزلت الارزاق وعمرت اهل الارض لهم حتى النمل وغيرها من الحيوانات بركة
ذلك ويستبشر اهل السما بما يرتفع لاهل الارض من الطاعات والاعمال الصالحة
ويستغفرون لمن كان السبب في ذلك وعلى هذا ان من كتمه العلم الذي امر الله
باظهاره لعنه الله وملئكته واهل السما والارض حتى حيتان البحر في الطفا نور الله في
الارض الذي يشبه احتمايه نظر المعاصي والظلم والعدوان والبغي قال تعالى
ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب
اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون • وقيل انها نزلت في اهل الكتاب الذين كتموا
ما عندهم في كتبهم من صفة النبي صلى الله عليه وسلم • وكان ابو هريرة يقول لولا ايه
في كتاب الله ما حدثتكم شيئا ابدا وتلوا هذه الاية وفي سنن ابن ماجه عن البراء

بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
قال دواب الارض وقد روي هذا موقوفا على البرا • وروي عن طائفة من السلف في قوله
يلعنهم دواب الارض ويقولون منعنا القطر بخطايا بني ادم فان كنا نعلم النافع
سبب لحطوز الجهل العاصي وذلك يوجب حبوط المطر ونزول البلا فتهرب دواب
الارض فتلك خطايا بني ادم تمنع الدواب من ان تسقي في ذلك • وقد ظهر
بهذا ان بحبة العلما من الدين كما قال علي رضي الله عنه لكميل بن زياد وبحبة العالم
دين يدان بها وبي الانسان المعروف بن عالما او متعلما او شيخا او بحباهم ولا يكون
الحامل على ذلك • وقال بعض السلف عند هذا سبحان الله لقد جعل الله لهم محرجا يعني
انه لا يخرج عن هذه الاربعة المدوحة الا الجاهل الهالك وهو من ليس بعالم ولا
ولا متعلم ولا محب لاهل العلم وهو الهالك فان من بغض اهل العلم احب هلاكهم
وقد احب ان يطفئ نور الله من الارض ويظهر فيها المعاصي والفساد فيخسر الارض
لهم مع ذلك العمل كما ان من احب ظالما او عالما بالبقا فقد احب ان يعصى الله فيحبس المطر
لاجل ذلك كما قاله سفين الثوري وغير من السلف • وكان بعض حذم بعض اهل
بعض ابا البرج بن الجوزي وشيخ في اذاة محمد فراه بعضهم في منامه وهو يمشي
الى النار فسأله عن سبب ذلك فقيل له كان بعض ابن الجوزي قال ابن الجوزي فلما
زاد تعصبه على واذاه لجاني الله في كشف سره فصمته الله شر لفظ • ولما قتل
الحجاج سعيد بن جبير كان الناس كلهم محتاجين الى عمله فتعهم الله بقتله فروي
في المنام ان الحجاج قتل بكل من قتله في الدنيا قتله وقتل سعيد بن جبير سبعين قتله
وهذا المعنى كان ابتدا الناس عذابا من قتل نبيا الا نه سعى في الارض الفساد وقتل
عالما فقد قتل طبقة بني هو سباع في الارض العباد ايضا وهذا قول ابن عباس
وقتل العلما الامر بالمعروف في قوله ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس يشرهم بعذاب اليم • وقال عكرمة وغيره من السلف في قوله تعالى
من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احيها فكانما احيا الناس جميعا
قوله صلى الله عليه وسلم وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر
الكواكب وقد روي هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم ايضا من حديث معاذ رواه
الدرقطني ولكن اسنادها منقطع وفي هذا المثل تشبيه للعالم بالقمر ليلة البدر في
نهايه كماله وتمام نوره وتشبيه للعابد بالكواكب وان بين العالم والعابد من التفاوت
الفضل كما بين القمر ليلة البدر والكواكب والسر في ذلك انه اعلم ان الكوكب صوره لا عدد
نفسه واما القمر ليلة البدر فان نوره ينتشر على اهل الارض جميعا فيعمهم نوره
بنوره ويهتدون به في سيرهم واما قال على سائر الكواكب لم يقل على سائر البحور لان الكواكب
هي التي تنسب ولا يهتدي بها فهي بمنزله العابد الذي نفعه مقصور على نفسه والبحور
التي يهتدى بها كما قال تعالى وبالنجم هم يهتدون وقال هو الذي جعل لكم النجوم

بها في ظلمات البر والبحر فلذلك مثل العلماء من امته بالنجوم في الحديث الذي سبق ذكره ولذلك روي عنه انه قال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد قيل ان القمر انما استفاد نوره من ضوء الشمس كما ان العالم نوره مقتبس من نور الرسالة فلذلك شبه بالقمر ولم يشبه بالشمس وشبه الرسول بالسراج المنير لان نوره غير مقتبس من غيره الخلق ولما كان الرسول سراجا منيرا اشرق نوره على الارض كان العلماء ورثته وخلفاءه مشبهين بالقمر عند تمام نوره واضاءته وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انا اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على اضوء كوكب دري في السماء ولا بعد والله اعلم ان يكون العلماء الربانيون من الزمرة الاولى كما كانوا في الدنيا بمنزلة القمر ليلة البدر لاهل الارض وقد يشارك هم في ذلك المبرزون من العباد لاسيما من ينتفع الناس بسماع اخبارهم ورقة القلوب عند ذكرهم وحنت الى قصصهم اثارهم واما الزمرة الثانية فهم عموم العباد والله اعلم ولما مات الاوزاعي وكان امام اهل الشام في العلم مع شدة عبادته وكثرة خشيته وخوفه من الله عز وجل رؤي في المنام فقيل له ما كانت هنالك اعظم من درجة العلم يعني درجة المحزونين يعني اهل الخوف من الله والخشية والحزن وقد دل هذا الحديث على تفضيل العلم على العبادة بفضيلة سبا والادلة الدالة على ذلك اكثر جدا قال الله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال ترفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات يعني على الذين امنوا ولم يوتوا العلم كذا قال ابن مسعود وعمر بن التلمذ وخرج الترمذي من حديث ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر له رجلان احدهما عابد والاخر عالم فقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم وقال صحيح حسن غريب وخرج ايضا هو وابن ماجه من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد وخرج ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فدخل المسجد فاذا هو بحلقتين احدهما يقرؤون القرآن ويدعون الله عز وجل والاخرى يعلمون ويعلمون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل على خير هؤلاء يقرؤون القرآن ويدعون الله عز وجل فان شاء اعطاهم وان شاء منعهم وهؤلاء يتعلمون ويعلمون وانما بعثت معلما ثم جلس معهم وخرجه ابن المبارك في كتاب الزهد وزاد فيه بعد قوله وانما بعثت معلما هو لاء افضل وخرج الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قليل الفقه خير من كثير العبادة وخرج البزار والحاكم

وغيرهما باسانيد متعددة مرفوعا فضل العلم احب الي من فضل العبادة وخير دينكم الورع وفي مراسيل الزهري عن النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم وفي اخر حديث مشهور حضر جوادان احدهما عالم والاثار الموقوفة عن السلف في هذا كثيرة جدا فروي عن ابي هريرة وابي الدرداء والانيات تعلموا الرجل احب الي من الف ركعة تطوعا وخرجه ابن ماجه من حديث ابي ذر مرفوعا وروي عن ابي الدرداء قال مذاكرة العلم ساعة خير من قيام ليلة وبروي عن ابي هريرة مرفوعا ما عبد الله بشيء افضل من فقه في دين قال ابو هريرة لان افقه ساعة احب الي من ان احيي ليلة اصلي فيها حتى اصبح وعنه قال لان اعلم بابا من العلم في امر ونهي احب الي من سبعين غزوة في سبيل الله عز وجل وعن ابن عباس قال مذاكرة العلم بعض ليلة احب الي من احيائها وضع عن ابي موسى الاشعري انه قال لمجلس اجلسه من عبد الله بن مسعود ادنى في بعض من عمل سنة وروي عن الحسن عن الحسن انه قال لان اتعلم بابا من العلم فاعلم مسلما احب الي من ان يكون لي الدنيا كلها فاجعلها في سبيل الله عز وجل وعنه قال ان كان الرجل ليصيب الباب من العلم فيعمل فيكون خيرا له من الدنيا وما فيها لو كانت له فيجعلها في الاخرة وعنه قال مداد العلما ودم الشهداء يجري في احد وعنه قال ما من شيء ما خلق الله اعظم عند الله في عظم الثواب من طلب العلم لا الحج ولا عمرة ولا الجهاد ولا الصدقة ولا العتق ولو كان العلم صورة لكانت صورته احسن من صورة الشمس والقمر والبحوم والسماء والعرش وقال الزهري تعلم سنة افضل من عبادة مائتي سنة وقال سفين الثوري وابو حنيفة ليس بعد الفرايض افضل من طلب العلم قال الثوري لا تعلم شيئا من الاعمال افضل من طلب العلم والحديث لمن حسنت فيه نيته قيل له واي شيء النية فيه قال يريد به الله والدار الاخرة وقال الشافعي طلب العلم افضل من صلاة النافلة ورأى مالك بعض اصحابه يكتب العلم تركه وقام يصلي فقال عجبا لك ما الذي هو اليه بافضل من الذي تركته وسئل الامام احمد ايما احب اليك ان اصلي بالليل تطوعا او اجلس اسمع العلم قال اذا انت بلسخ ما تعلم به امرد ينك فهو احب الي وقال احمد ايضا العلم لا يعدله شيء وقال المعافا بن عمران كتابة حديث واحد احب الي من قيام ليلة وما يدل على تفضيل العلم على جميع النوافل ان العلم يعم جميع فضائل الاعمال ويزيد فقه في دين الله عز وجل فان شاء اعطاهم وان شاء منعهم وهو لا يستعمل ويعلم وانما يعلم معلم من جلس معه وخرجه ابن المبارك في كتاب الزهد وزاد فيه بعد قوله وانما بعثت معلما هو لا افضل وخرج الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قليل الفقه خير من كثير العبادة وخرج البزار والحاكم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بدم الشهداء فيوزن مداد العلماء وخرج الترمذي من حديث انس عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع ● وورد في حديث اخر اذا جاء الموت
طالب العلم وهو شهيد ● وقال عالم بن جبل تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة
ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وهو انيس
في الوحدة والصاحب في الخلوة به يعرف الله ويعبد وبه يحمد ويوحد ويرفع الله
بالعلم اقواما فيجعلهم قادة وائمة للناس يقتدون بهم ويرجعون الى رايهم وكلامهم
اكثر من هذا ● وقد روى هذا مرفوعا من حديث ابي هريرة وغيره ● ومما يدلك
على تفضيل العلم على العبادة قصة ادم عليه السلام فان الله تعالى انما اظهر فضله
على الملائكة بالعلم حيث علمه اسماء كل شيء واعترف الملائكة بالعجز عن معرفة ذلك
فلما انباهم ادم بالاسماء اظهر حينئذ فضله عليهم وقال الله عز وجل لهم الم اقل لكم
اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ● وذكر طائفة
من السلف ان الذي كتموه ابليس فانه قال في نفسه لن يخلق الله خلقا الا ونحن اكرم عليه
منه ● ومما يدل على فضل العلم ان جبريل عليه السلام انما فضل على الملائكة
المشتغلين بالعبادة بالعلم الذي خص به فانه صاحب الوحي الذي ينزل به
على الانبياء عليهم السلام وكذلك خواص الرسل انما فضلوا على غيرهم من الانبياء
عليهم السلام بمزيد العلم المقتضي لزيادة المعرفة بالله والخشية له ولهذا وصف الله سبحانه
تعالى في كتابه محمدا صلى الله عليه وسلم ومدحه بالعلم الذي اختصه به وامتن به
عليه في مواضع كثيرة وامره ان يسأله المزيد فقال وقل رب زدني علما وامره بالعلم وتعليمه في قصة
ابرهيم حين دعا ربه لاهل البيت الحرام ان يبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياته
ويعلمهم الكتاب والحكمة ثم امتن تعالى علينا بان بعث فينا رسولا منا ومن محمد
صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة فقال لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم
رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل
على محمد صلى الله عليه وسلم من فضل العلم وفضله وهو قوله تعالى اقرا باسم
ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم
الانسان ما لم يعلم ● وامتن على محمد صلى الله عليه وسلم بالعلم في مواضع كقوله
تعالى وانزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك
عظيما ● وامره ان يسال ربه ان يزيده علما فقال وقل رب زدني علما ● وكان صلى الله

عليه وسلم يقول انا اعلمكم بالله واشدكم له خشية وامتن الله علينا ان بعث
فينا هذا الرسول الذي يعلمنا ما لم نكن نعلم وامرنا بشكر هذه النعمة فقال تعالى
كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم
ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ● واخبر سبحانه انه
لما خلق السموات والارض ونزل الامر الالهي بذلك قدرته وعلمه فدل ذلك على
معرفته ومعرفة صفاته كما قال تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض
مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل
شيء علما ● ومدح في كتابه العلماء في مواضع كثيرة ● وورد سبب ذكر بعضها واخبر انه
انما يخشاه من عباده العلماء وهم العلماء به ● قال ابن عباس في قوله انما يخشى الله من
عباده العلماء قال انما يخافني من عبادي من عرف جلالي وسلطاني وعظمتي فافضل
العلم العلم بالله وهو العلم باسمائه وصفاته وافعاله الذي يعرف صاحبه
معرفة الله وخشيته ومحبته وهيبته واجلاله وعظمته والتبتل اليه
والتوكل عليه والرضى عنه والاشتغال به دون خلقه وسبق ذلك العلم عليه
وكتبه ورسله واليوم الاخر وتفاصيل ذلك والعلم باوامر الله ونواهيه وشرايعه
واحكامه وما احبته من عباده من الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة وما يكرهه
من عباده من الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة ● ومن جمع هذه العلوم فهو من
العلماء الربانيين العلماء بالله العلماء بامر الله وهم اكمل من قصر علمه على العلم بالله دون
العلم بامره وبالعكس وشاهد هذا النظر في حال الحسن وابن المسيب والثوري واحمد وغيرهم
من العلماء الربانيين وحال مالك بن دينار والفضيل بن عياض ومعروف في تبشر وغيرهم من
العارفين فمن فاته احد طرفي هذا النظر كان من الجاهلين عرف فضل العلماء بالله وبامره على العلماء بالله فقط فما
نظن تفضيل العلماء بالله وبامره على العلماء بامره فقط فان هذا واضح الانتفاء وانما
نظن بعض من لا علم له تفضيل العباد على العلماء فنحملهم ان العلماء العلماء بامر الله فقط وان
العباد هم العلماء بالله فرجحوا العالم بالله على العالم بامره وهذا خطا ● ونحن انما نقول ان العالم
بالله والعالم بامره افضل من العباد ولو كان العباد من العلماء بالله لان العلماء الربانيين هم العباد
وفضيلة العلم بالله بل بما زاد وعلا بقدر ما يورثه العلم بالله من خشية الله ومحبته
وتعظيمه وهذا يتم اليه ويدور معه والرسل عليهم السلام وكذلك كان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الرسل وورثتهم كما سنذكره ان شاء الله تعالى وهذا القدر الذي انفرد به
عن العباد افضل من القدر الذي انفرد به العباد من ثواقل العبادات فان
زيادة المعرفة بما انزل الله على رسوله يوجب زيادة المعرفة بالله والايمان به
وحسن المعرفة بالله والايمان به افضل من حسن العمل بالجوارح والاركان لان
من لا علم له لا يعظم في نفسه العبادات على العلم لانه لا يتصور حقيقة العلم ولا
شرفه ولا قدره له على ذلك وهو يتصور حقيقة العبادات وله قدره على
حسنها في الجملة وهذا يحقر كثيرا ممن لا علم لديه بفضل الزهد في الدنيا
على العلوم والمعارف وسببه ما ذكرناه وهو انه لا يتصور معنى العلم
والمعرفة ومن لا يتصور شيئا لا يتمكن في صدره عظمته وانما يتصور الجاهل
بالعلم حقيقة الدنيا وقد عظمت في صدره فعظم عنده من يزهد فيها ولو
تصور حقارة الدنيا وهو انها عند الله لم يعظم عنده قدر من يزهد فيها كما
قال محمد بن واسع وقد رأى شابا فقيل له هو لا يزهد فقال اي شيء قدر الدنيا
حتى يمدح من يزهد فيها وقال ابو سليمان الداراني درة من هذا المعنى ايضا فالفقير
ما لم يزهد في الدنيا كما ينبغي يتمنى ان يرزق منها شيئا ويعطى منها شيئا
وهذا احقر من ان يذكر فضلا عن ان يعتبر به وهذا ايضا يعظم في نفوس اكثر الناس
ذكر الخوارق والكرامات ويرونها افضل من اعطية العلم من المعرفة بالله وبشرعه
وهو من اعظم الغلط وسببه قلة تصورهم حقيقة المعرفة والعلم وانما يتصورون
حقيقة الخوارق لانها من جنس القدرة والسلطان في الدنيا الذي تجري اكثر الناس
عنه واما العلم بالله فلا يعظم هذه الخوارق عندهم بل يرون الزهد فيها
وانها من نوع الفتنة والمحنة وبسط الدنيا على العبد اكثر فون من الاشتغال
بها والوقوف معها عن الله عز وجل وقد ذكر ابو طالب المكي هذا المعنى في كتابه
عن كثير من العارفين منهم ابو يزيد وذي بن خالد وسهل وابو الوفد الجنيد
وغيرهم وقيل لبعضهم ان فلانا يمشي على الماء فقال ان مكنه الله من مخالفته
بهواه فهو افضل وكان ابو حفص النيسابوري يوما جالسا مع اصحابه
خارج المدينة وهو يتكلم عليهم فطارت بغلتهم فجاء اليل فنزل من الجبل
حتى مر بين يديه فلم يكاشفه بذلك وانزعج فسئل عن سبب ذلك فقال رأيت
اجتماعكم حولي وقد طابت قلوبكم فوقع في قلبي لو ان لي شاه ذبحتها

ودعوتكم اليها فلما فكرت هذا الخاطر حتى عاد هذا الوحش فركض بين يدي فجعل يحاني مثل
فرعون الذي حال له ان يجري له النيل فاجراه له قلت ما يمنعني ان يكون الله
تعالى يعطيني كل حظ لي في الدنيا والعقبى في الاخرة فقرا لا اسئلني لي فهذا الذي ارجحني
فاحوال العارفين كلها تدل على انهم لم يلتفتوا الى هذه الخوارق وانما
كان اهتمامهم بمعرفة الله ومحبته والانس والشوق الى لقائه وطاعته
والعلماء الربانيون يشاركونهم في ذلك ويزيدون عليهم بالعلم بامر الله وبدعوة
الخلق الى الله وهذا هو الفضل العظيم عند الله وملائكته ورسله كما قال بعض
السلف من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء واذا ظهر فضل العا
على العابد فانما المراد تفضيله على العابد بعلم فاما العابد بغير علم فانه مذموم
وهذا شبه السلف بالسراج على عنق بغل وبانه نفتدي كثيرا مما يصلح وبانه كالحمار
في الطاحونة يدور حتى يملك من البغل لا يبرح من مكانه وهذا اشد ظهورا وضوحا
من ان يحتاج الى بسط القول فيه ولنضرب ههنا مثلا جامعا لاحوال الخلق كلهم
بالنسبة الى دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وانقسامهم في اجابة دعوته الى سابق
ومقتصد وظالم لنفسه وبه يظهر فضل العلماء الربانيين على غيرهم من الناس اجمعين
فنقول مثل ذلك كمثل رسول ورد من بلد الملك الاعظم فادى رسالة الملك الى
سائر البلدان وظهر ظهر صدقه في رسالته وكان مضمون رسالته التي ادا ها من
عند الملك الاعظم الى رعيته ان هذا الملك لا احسان عنده من احسانه ولا عدل
اكمل من عدله ولا بطش اشد من بطشه وانه لابد ان يستدعي الرعية كلهم اليه
ليقيموا عنده فمن وفد عليه باحسانه فجزاه باحسانه افضل الجزاء ومن وفد عليه
بالشقاء جازاه بالشقاء اشد الجزاء وانه حكم كذا وكذا وكره كذا وكذا ولم يدع شيئا
مما يعمله الرعية الا اخبرهم بما يحبه الملك منه وبما يكرهه واخبرهم بالتجهز والتسوي الى دار
الملك التي فيها الاقامة واخبرهم بخراب جميع البلدان سوى ذلك البلد وان من لم يتجهز
للتسوي بعث اليه الملك من يقتله عاجلا او يوكل به من يسوقه الى ذلك البلد وجعل يصف
صفات هذا الملك الحسن من الجمال والكمال والجلال والافضال فاشتاق الناس الى اجابة
هذا الرسول الداعي الى الملك فاما عبيده فمنهم من صدقه ولم يكن يظن الا السوء العائب
هذا الملك من الرعية استصحابه الى داره عند التسوي اليه فاشتغل بخصلة لنفسه
وبدعا من يكنسه دعاه من الحق الذي ذلك وعابكره هذا الملك فاجتنبه واشر الناس
ما اجتنابه وجعل همه الاعظم السؤال عن صفات الملك وعظمته وافضاله

محبته لهذا الملك واجلاله والشوق الى لقائه فارتحل الى الملك مستصحبا لانيس
ما يفيد رعيه ما يحبه الملك ويرتضيه واستصحب معه رجالا عظماء على مثل حاليه
سار بهم لاقرار الملك وقد عرف من وجهه ذلك الدليل الذي هو الرسول الصادق اقرب
الطرق التي يتوصل بالسير فيها الى الملك وما ينفع من الزود للسير فيها وعمل بمقتضى ذلك
في المسير هو ومن اتبعه فهذه صفة العلماء الربانيين الذين اهتدوا وهدوا والخلق
معهم الى طريق الله وهؤلاء تقدم من علي الملك قدوم الغائب على اهله المشتاقين لقدومه
المشاق من اليه اشد الشوق ن وقسم اخرون استغلوا بانا لتاهب لسيرهم بانفسهم
الى الملك ولم تقنعوا الاستصحاب غيرهم معهم وهذه صفة العباد الذين عملوا اما نفع
يتبعهم في خاصة انفسهم واشتغلوا بانا لعمل بمقتضاه ن وقسم اخرون نشبوا بانا حد
القسمين ولطفوا باللتاس ايهم منهم وان قصدهم الزود للرحيل وانما كان قصدهم
استيطان دارهم الفانية وهم العلماء العاملون الذين اعملوا لسانا لوا بذلك مصالح دارهم
التي هم بها مستوطنون وحال هؤلاء عند الملك الاعظم اذا قدموا عليه بشر حال وتقال
لهم اطلبوا حزا اعالكم من عملتم له وليس لكم عندنا من خلاق وهم اولى من تسعر بهم النار
من اهل التوحيد ن وقسم اخرون فهموا ما اداه الرسول من رسالة الملك ولكنهم عاكفت
عليهم الكسل واقتعدتهم عن الزود للسفر واستصحاب ما يحتاج اليه الملك واجتنائه لاجله
وهؤلاء العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم وهم على شفا هلكة وذعا ابتنع عزيمة بعضهم وهم
لطريق السير فصار المتغلون فيها والتقطع من تخلوا منه في الطريق فهلكوا وقسم
اخرون صدقوا الرسول فيما دعى اليه من دعوة الملك لكنهم لم يتعلموا منه طريق السير
ولا عرفه بفاصيل ما يحبه الملك ويكرهه فشاروا بانا نفسهم ورموا بانفسهم في طرق
شاقة ومفاوز وقفار وعرة فضلت عزيمتهم وانقطع من تخلوا منه في الطريق فهلكوا وقسم
وهؤلاء الذين يعلمون ولم يعملوا هذه الرسالة ولا رفعوا بها راسا واشتغلوا
بمصالح اقامتهم في اوطانهم التي اخبر الرسول بخرابها وهؤلاء منهم من كذب الرسول بالكلية
ومنهم من صدقه بالقول ولكنه لم يشتغل بمعرفة ما دل عليه وانا لعمل به وهؤلاء عموم
الخلق المعصومون عن العلم والعمل ومنهم الكفار والمنافقون ومنهم الغصاة الظالمون لا
يعنيهم ولم يشعروا الا وقد طرقهم داعي الملك فاخترمهم عن اوطانهم واسند عالم الى الملك
فندموا عليه قد فوت الاوقات على سيده الغضبان واذا ما ملك اقام الناس المتلوزة لم يجد
اشرف ولا اقرب عند الملك من العلماء الربانيين فهم افضل الخلق بعد المرسلين ن

وله صلى الله عليه وسلم ان العلماء ورثة الانبياء يعني انهم ورثوا ما جاء به الانبيا
من العلم فحملوه الانبيا في المهم بالدعوة الى الله والى طاعته والنهي عن معاصي الله
والذب عن دين الله ن وفي مراسيل الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله
على خلقي والرسول الله ومن خلفا وقال الذين يحبون سنتي ويعلمونها

عباد الله وروى نحوه من حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه مرفوعا ايضا
قال العلما في مقام الرسل بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل عليهم وقال ابن عيينة
اعظم الناس منزله عند الله من كان بين خلقه الانبيا والعلما ن وقال سهل التستري
من اراد ان ينظر الى مجالس الانبيا فلينظر الى مجالس العلما يجي الرجل فيقول يا فلان
ايش يقول في رجل حلف على امراته بكذا فيقول طلقت امراته وفي اخر فيقول ما تقول
في رجل حلف على امراته بكذا وكذا فيقول لم يحنث بهذا القول وليس هذا الذي او
يعلم فاعرفوا اهل زمانكم ن وروي ان امراة من العابدات في زمن الحسن البصري في منامها
كانها تستفتي في المستحاضة وقيل لها استفتينا وفلم الحسن وفي يده خاتم
جبريل عليه السلام وفي هذا اشارة الى ورثة الحسن ما جاء به جبريل من الوحي
بخاتمه ن ورأى بعض العلما النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له يا رسول
الله قد اختلف علينا في مسالة ايهما اعلم فقال صلى الله عليه وسلم مالك
ورثة جدي حتى ورث علمي ن ورأى بعضهم النبي صلى الله عليه وسلم في منامه
فاعد اني المسجد والناس حوله ومالك قائم بين يديه ومن يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم منسك وهو اخذ منه قبضة فيد فعها الى مالك ومالك ينثرها على الناس
فاول الناس ذلك مالك العلم واتباع السنة ن ورأى الفضيل بن عياض في منامه النبي صلى
الله عليه وسلم جالسا والرجاء بين يديه فرجه فجا المجلس فيما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
هذا مجلس ابي اسحق الفراري فسيل بعضهم لهما كان افضل ابو اسحق او فضيل فقال كان
فضيل رجل بنفسه وكان ابو اسحق رجل عامة يشير الى انه كان عالما ينتفع الناس بعلمه وكان
فضيل عابدا ينفعه لنفسه ن والعلما في الاخرة يتلون الانبيا في الشفاعة وغيرها كما
في الترمذي عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيمة الانبيا ثم العلما ثم
الشهدا ن وقال مالك بن دينار انه يقال للعابد ادخل الجنة ويقال للعالم قف فاشفع
وقد روي هذا مرفوعا من حديث بشار هو بن ياسناد ضعيف جدا ن وللعلما الكلام في الحق
بالحق اذا استبهت الامور على الناس فاذا ظن اهل الوقت انهم لم يلتفوا في فتوى الا على
بين اهل العلم ان الامر على خلاف ذلك كما قال تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون
ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون ن وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في
كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون ن والعلما يشهدون
يوم القيامة بحق المشركين بالله كما قال تعالى ثم يوم القيمة يخزيهم ويقول

الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين ○ وقد روى في حديث مرفوع ان الناس يحشرون الى الجنة الى العلماء كما يحشرون الى غيرهم في الدنيا اذا استبد عن الرب اهل الجنة لزيارته وقال لهم سلوني ما شئتم فيقولون الى العلماء منهم فيقولون لهم سلوه ربه فانا في الجنة اعظم منها ○ وهذا كله يبين ان لا درجة بعد النبوة افضل من درجة العلماء وقد يطلق اسم العلماء ويراد به الخلص الانبياء فيهم حاذي بقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة واولوا العلم قائما بالقسط فلم يرد حاشا الانبياء بالذكر لدخولهم في مسمى العلماء ولقوله بعد شركا للعلماء انهم يستمدون باسم يجمعهم وهو الانبياء فيه ومن هنا قال من قال ان العاملين هم اولياء الله كما قال ابو حنيفة والشافعي ان لم تكن الفقهاء والعلماء اولياء الله فليس لله ولي وقال الحكيم الترمذي اهل الحديث هم اهل الانبياء ○ قوله صلى الله عليه وسلم وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر المراد بهذا ان العلماء ورثوا الانبياء فيما خلفوه وان الذي خلفه الانبياء هو العلم النافع فمن اخذ منه العلم وحصل له فقد حصل له الحظ العظيم الوافر الذي يغبط به صاحبه ○ ورأى ابن مسعود قوما في المسجد يتعلمون ويقال رجل على حلقهم فجاء هؤلاء فقال على ميراث محمد يقتسمونه ○ وخرج ابو هريرة الى السوق فقال هلك هلك قالوا فما صنعك قال ميراث محمد يقتسم في المسجد وانتم ههنا فما تركة النبي صلى الله عليه وسلم وميراثه هو هذا الكتاب الذي جاء به مع السنة المفسرة له المبينة لمجانبه ○ وفي صحيح البخاري عن ابن عباس انه سئل اترك النبي صلى الله عليه وسلم من شيء قال ما ترك الا ما بين الدفتين يعني في المصحف ○ وفي الصحيحين عن ابن ابي اوفى انه سئل اهل وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء فقال انما اما نشر بوشك ان يأتيني رسول من فاجيبه والاركم فيكم الثقلين واولهما كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به واخذ به كان على الهدى ومن اخطأه ضل حرجه مسلم ○ وفي السنن عن عبد الله بن عمرو قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كالمودع فقال انا النبي الامي ثلاثا ويل لكل شيرات ولامتي بعدي اويلة افواح الكلم وخواتمه وعلمت كم حزنه النار وعمله قال لك كل شيرات ولامتي بعدي اويلة افواح الكلم وخواتمه وعلمت كم حزنه النار وعمله العرش وعوفيت وعوفيت امتي فاسمعوا واطيعوا ما دمت فيكم فاذا ذهبت فعليكم بكتاب الله احلوا حلاله وحرموا حرامه ○ قوله صلى الله عليه وسلم ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم بريد انه لم يورث عنهم سوى العلم وهذا بين ان المراد بقوله تعالى وورث سليمان داود وقوله عن زكريا انه قال هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من ال يعقوب انما اراد به ميراث العلم والنبوة لا المال فان الانبياء لا يجمعون مالا يتركونه بعدهم ولا يورث عنهم وبهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركناه صدقة وقال ما نزلت بعد مونته عامل ونفقة عيالي فهو صدقة وما ترك صلى الله عليه وسلم الا درعه وبغلته البيضاء وارضا جعلها صدقة فلم يخلف سوى آلة الجهاد الذي كان يقاتل به اعداء الله وارضا التي كان يقتات منها هو وعياله رد ها صدقة على المسلمين ○ وكل هذا اشارة الى ان الرسل انما بعثوا بالدعوة الى الله والجهاد في سبيله والعلم النافع ليجمع الدنيا والآخرة لاهلهم وانما بعثوا بالدعوة الى الله والجهاد في سبيله والعلم النافع

وتوريثه لامته ○ وفي مراسيل ابي داود المحولاني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اوحى الله الي ان اجمع المال وكن من التاجرين ولكن اوحى الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين خرجه ابو نعيم ○ وفي الترمذي وغيره عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مالي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كراكب استظل تحت ظل شجرة راح وتركها وقوله صلى الله عليه وسلم ان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر اشاره الى امرين احدهما ان العالم الذي هو وارث الرسول حقيقة كما انه ورث علمه فينبغي ان يورث العلم كما ورث الرسول العلم ويورث العالم العلم هو ان يخلفه بعده بتعليم او بتصنيف ويخرج الكلام المنتفع به بعده ○ وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد انقطع عمله الا من ثلاث علما نفع به او ولد صالح يدعو له او صدقة جارية وهو قوله فالعالم اذا علم علمه من يعمل به بعده فقد خلف عملا صالحا وصدقة جاريه لان تعليم الخير صدقة كما سئل عن معاذ وغيره والذين علمهم عنزله اولاده الصالحين الذين يعولهم فيجتمع له بتعليمهم في علمه هذه الثلاث خصال والامر الثاني ان من كمال ميراث العالم للرسول عليه السلام ان يخلف الدنيا كما خلفها الرسول وهذا من جمله الاقتداء بالرسول وبسنته في زهده في الدنيا وتقلله منها واختياره منها ما يسير كما كان يفعل المتقشف يعول من علاته حبل السنه حتى تأتيه حتى وبعض الدنيا وان لا يأخذ منها الا زادا ويلغه الى الآخرة ○ وقال مالك بن دينار انما العالم الذي اذا اتته الدنيا في بيته رأيت حصيرة الصلاة ومصحفه وبطريقه في حائط البيت تراب الآخرة ○ وكان الفضيل يقول الخلق وا علم الدنيا لا يصدكم بشكره ثم قال الذي اثرا من علم الآخرة انسيه يزري كثيرا وقصر منه محمد صلى الله عليه وسلم ان يحمد لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولم يرفع له علم فشمر اليه وكان يقول العلم الكبير الحكمة وليس ما يراد من العلم الحكمة فمن اوتي الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وهذا كان حال العلماء الربانيين كالحسن وسفيان واضرابهم اختاروا من الدنيا ما يتبلغون به الى الآخرة منها ولم يخلفوا شيئا العلم مع ان بعضهم كان يلبس ما شاء حسنا وذلك لا ينافي ما تقدم من التقشف كالحسن البصري فانه كان لباسه الخز وكان يشتري بنصف درهم لحما فيطبخه ويأكل منه هو وعياله وكان يلبس الثياب الحسنة وهو مع هذا ازهد الناس في الدنيا وما رأى احد على شيء منها قط وكان الناس اذا دخلوا عليه خرجوا من عنده ولا يعدون من الدنيا شيئا وما رأوا احدا احتقر الاهل الدنيا منه وكانوا يدخلون عليه فرحه لا يعودونه ولبس ثيابه الا شهرة مرموق هو عليه ولبس رقيق وغليظ ولا كثير حتى قال من عون انا بذة الحسن الناس الزهد في الدنيا فاما العلم فقد شورك فيه وكان الحسن يقول انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب الآخرة البصير في دينه المداوم على عبادة ربه القائم بسنة محمد صلى الله عليه وسلم من رأى محمد افقد رآه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة اغار فرفع له علم لتمر به ○ وكان سفيان الثوري اشد تقشفا في ملبسه من الحسن حتى كان من زاه لا يعرفه ونظافته من التسول وكان مع سعة ورعه اذا وجد الحلال اكل منه طيبا وان لم يجد حلالا استقرض وربما بقي بلا

شبكة الألوكة www.alukah.net

مع عرض الناس عليه الاموال الكثيرة وكان اذا شبع من الحلال يزيد في عمله ويقول اطعم الزرع وكده وكان زاهدا الناس في الدنيا في زمانه حتى كان يعزي مجلسه عن الدنيا وقلة من يلتفت الى السلاطين والملوك والاعتناء اليهم في مجلسه وقلة الفقراء والمساكين اعز منهم في مجلسه وكان الحزن غالبا عليه فلما مرض مرض الموت جعل يداوه الى الطبيب فقال ليس هذا داؤك وانما قد فتت الحزن في كبدك وبقال لم يكن في زمانه من هو اخوف لله منه ولا من هو به اعلم منه ولما مات قال بعض العلماء معشر القراء كانوا الدنيا بالدين فصاروا بعدهم سفين يعني ما ينبغي ان يعد احد يستحي منه ○ واما الامام احمد فكان اشد منهما تقشفا في عيشه واكثر صبرا على خشونة العيش والقلة وكان معيشته من خياطة له وربما من ابيه وربما اخذ اجرة عمله في الشهر دون عشرين درهما ومات ولم يخلف الا قطعا في جرقة له كان يرقد عليها ودون نصف درهم وترك عليه دينا قضي عنه من اجره جوايبه مع اثر صاكان يرد على الخلفاء من الجوايز والصلات ○ وكان يحيى بن اكثم من العلماء الرباسين المتوسعين في العلم وكان يقال العلم بتق على وجه الارض مثله وكان يحسن الشاه حسن الجبه فلما مات خلف بالاف دراهما لفوه بها ○ وكان محمد بن اسلم الطوسي من العلماء الزهاد الرباسين مات ولم يخلف في كساره وابريقه وقصعتها على نعشه وانا للوصول يصدعوا به فقال لنا على السطوح يقلن في جنازته هذا العالم الذي خرج من الدنيا وهذا ميراثه الذي على جنازته ليس مثل علمائنا هؤلاء الذين يطوفون مجلس احدهم للعلم ستين او بلاده فيشتري الضياع ويسعفيله المال ○ وقال العباس بن مرداس صحبنا قوما يقولون بحالنا ويقولون اذا وزعا على اكثر من سبعين الف دينار يعني من السلطان من غنايمه وبني العباس فلما مات خلف اربعة دنانير منسية من عطاياه وما كان له ارض ولا دار وقال العباس نظرنا فاذا هو اخرجها كلها في سبيل الله والفقراء وقد وصف الله تعالى في كتابه العلماء فاوصاف منها الخشية والخشوع والبكاء كما ترى ومنها احتقار الدنيا والتزهيد فيها كما قال في قصة قارون فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون ○ قيل للامام احمد ابن المبارك فيل له كيف تعرف العالم الصادق فقال الذي يزهد في الدنيا ويقبل على امر اخرته وقال احمد نعم هكذا ينبغي ان يكون وكان الامام احمد يتكرر على اهل العلم حب الدنيا والحرص على طلبها ○ واعلم انه انما اهلك اهل العلم واوقعهم في ورطة الهلاك بهم وتقديم حطام المتعبدين عليهم ما دخل عليهم من الطمع في الدنيا وقد راى علي بن ابي طالب رضي الله عنه رجلا يقص فقال له اتسلك مسلك قاص خرجت صفتها والا علوتك بهذه الدرة فقال له سل يا امير المومنين فقال ما ثبات الدين وزواله فقال له ثبات الدين الورع وزواله الطمع فقال له قصصت فقال لا ○ وهذا السوال من علي رضي الله عنه لهذا القاص وجه اشاره الى ان ينشر علم الناس ويدل عليهم ينبغي ان يكون ورعا عما في ايديهم غير طامع في شيء من اموالهم ولا ارزاقهم ولا اخذ طلوبهم اليه

وانما ينشر علمه لله عز وجل وسئل عن الناس بالورع ○ وفي سنن ابن ماجه عن ابن مسعود قال لولا ان اهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند اهله لسادوا اهل زمانهم ولكن بذلوه لاهل الدنيا لينالوا به من دنياهم فهانوا عليهم سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول من جعل الهموم هما واحدا هم اخرته كفاه الله هم دنياه ومن تشعبت به الهموم في احوال الدنيا لم يبال الله في اي اوديتها هلك ○ وقال ابو حازم الزاهد لقد اتت علينا برهة من دهرنا وما عالم بطالب ميراث وكان الرجل اذا علم اكتفى بالعلم عما سواه وكانت الامراء تفتقر اليهم وتفتقر اليهم فكان ذلك صلاح للفريقين للولاة والرعايا على ذلك ما زالت الامراء ان العلماء فدعتهم وجالستهم وسالوهم ما في ايديهم هانوا عليهم وتركوا الاقتباس منهم وكان ذلك هلاك الفريقين الزهاد والملوك على ○ وذكر اعرابي البصرة فقال من سيد اهل هذه القرية قالوا الحسن قال بم سادهم قالوا احتاج الناس الى علمه واستغنى هو عن دنياهم ○ وكان الحسن يقول ان اهل كل شيء شانين وشان العلم القطع وقال من ازهد ارعاد فاردد على الدنيا تحرصا لم يزدد من الله الا بعدا ولم يزدد الله له الا بغضا ○ واحتاج الحسن يوما ببعض الفزا على ابواب بعض السلاطين فقال افرحتم جباههم وفرطتم نعالكم وجيتم بالعلم تحملونه على رقابكم الى ابوابهم زهدوا فيكم اما انكم لو جلستم في بيوتكم حتى يكونوا هم الذين يرسلون اليكم لكان اعظم لاجركم في اعينهم تفرقوا فرق الله بين اصلابكم ○ وفي روايه قال لقراء زمانه من اراد واجلسكم واجسادكم فرطتم نعالكم وشمرتم ثيابكم وجريتم شعوبكم فضحكم الله يا معشر القراء فضحكم الله ام والله لو زهدتم فيما عندهم لزهدوا فيما عندكم ولكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم العبد الله من بعد ○ وفي الحلية قال لا يصون نفسه لا ينتفع بعلمه ولا ينتفع غيره به ○ قال الشافعي من قرا القران عظمت قيمته ومن تبحر في الحديث قويت حجته ومن فقه نبل مقداره ومن نعم العربية رق طبعه ومن لم يصن نفسه لم ينتفع بعلمه ○ وفي هذا المعنى يقول ابو الحسن الحرحاني ابياته المشهوره السايره

يقولون لي فيك انقباض وانما ... رايت جلاعن موقف الذل احجما

ارى الناس من ادناهم فهان عندهم ... ومن اكرمته عزة النفس اكرما

ولم افقد خوف العلم ان كان كلما ... بدا طمع صيرته لي سلما

اذا قيل هذا منهل قلت قد اري ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما

ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي ... لاخدم من لاقيت لكن لاخدما

الا فاشتر به عزا واحبه ذلة ... اذا الانباع المجد وذر ما

ولو ان اهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكن اذلوه فهانوا ودنسوا ... محياه بالاطماع حتى تجهما

الحرص على الدنيا والطمع فيها قبيح وهو من العلماء اقبح فان كان بعد نزول الشيب فيها اقبح وافحش ليس بعض العلماء من التابعين ثيابا وتيها يمشي الى بعض الملوك فاخذ المراة فنظر فيها فراى في لحيته طاقة شيب فقال للسلطان والشيب ترتع ثيابه وجلس

قد آن بعد ظلام الجهل ابصاري للشيب صيح منادي ناسفار
ليل الشباب فصير فاسرع متيقظا ان الصباح فصاري المذبح الشاري
كم اغتراري بالدنيا وزخرفها اني بناها على حرف فطاهاري
دار فنا منها بنتي ولذتها تفني الاقبح هاتيك من دار
ليس السعيد الذي دنياه تسعده ان السعيد الذي يجوا من النار
اصبحت من ستاني خائفا وجلا والله يعلم اعلاني واسراري
اذ انعاظهي دنبي وابيسني رجوت عفو عظيم العفو غفار
تم الكتاب والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وهو الكريم الوهاب
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين
وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين بارت
العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل
ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم

هذا بلاد بعجيبا وقدرة
بحسب الطاقة والامكان

أتيتك سائلا فارحم عنائي ... فعندك يا كريم دوا دائي
ولا أحد سواك اليه أشكوا ... لئيم عبرتي وبري بكائي
فيا مولى الورى جد لي بعفو ... ومن بنظرة فيها شفائي
رأيت كثير من يهوى قليلا ... لمثلك فاقصرت على الدعاء
لله ما أطيب ذاك الشهاد ... وما الذ القرب بعد البعاد
وما اشد الهجر من بعدما ... قد كنت من حملة اهل الوداد
يا ناسيا للعهد عاملتنا ... ثم تغللت بطيب الترقاد
بمن تشاغلت وأبن الذي ... حصلت كلا بل حرمت المراد

فاز الذي عاملنا بالرضى ... وحصل الزاد ليوم المعاد
شمر من اليوم ودع ما مضى ... وكن فقيرا ما مضى لا يعاد

99

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم ... يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام روادك حول البيت وانبهروا ... وانت يا حي يا قيوم لم تنم
ان كان جودك لا يرجوه ذو زلل ... فمن يجود على العاصين بالكرم
هب لي بجودك فضل العفو عن زللي ... يا من اليه ارتجا المخلوق في الحرم

يا ربي قد انحنت ركابي ... وما بي من ارجوه يا خير راجي
فان حدثت بالعقيد الذي انت اهله ... فاين آمالي بنيل رغايبي
وان ابعدتني عن حماك خطيتي ... فيا خيبة المسعا وضيعة جانبي
حرام على قلبي وان شم الصبا ... يميل الى خل سوالك وصاحبي
اذا لم امت شوقا اليك وحسرة ... عليك فلا بلغت منك مآربي

تعطف بفضل منك يا مالك الورى ... فانت ملاذي عند ضيقي ومعيني
لئن ابعدتني عن حماك خطيتي ... فانت رجائي شافعي ويقيني
وظني جميل انني بك واثق ... وانك جميل العفو منك تعينني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ذكرت زمان الوصل في روضة الرضى فطال حنيني نحوه وأنيني
ورقت دموع العين حتى كأنها دموع دموعي لا دموع جفوني
تهنا بذكرك والظلما عاكفة فكان باسبدي احلى من السمدى
يامن اذا قلت يا من لا نظير له نم عزه قبل لي يا اصدق البشر
عودتني الطول والاحسان يا امل فامنن بجودك يا سميع وبالبصر
اصبحت في حيرة لا ارتجي سببا من ارتجيه وقلبي من سواك كسير
بذكرك يا مولي الورى تشفع وقد حاد قوم عن سبيلك قد عموا
الهي حملنا ذنوبا عظيمة اسانا وقصرنا وجودك اعظم
شهدنا يقينا ان علمك واسع فانت ترى ما في القلوب وتعلم
سترنا معاصينا عن الخلق غفلة وانت ترانا ثم تعفو وترحم
وحقك ما فينا بنيل يسيرة صدود وذكرى عنه بذل وبندم
سكتنا عن الشكوى حياء وهيبة وحاجاتنا لك بالفضا تتكلم
اذا كان ذل العبد بالحال ناطقا فمذ ابيض الصبر عنك وكلتم
الهي مجد واصفح واصلح قلوبنا فانت الذي تولي الجميل وتكرم
انت الذي قويتهم فقاموا وانت الذي وفقتهم فقوموا
لهم في الدجى الغسى بذكرك دائما عليهم في الليالي ساجدون وقوموا
نظرت اليهم نظرة تعطف فعاشوا بها والخلق سكري ونوموا
لك الحمد عاملنا بما انت اهله وسامح فانا والمسيء سيعلم
احلك ان تشكو اليك الذي القا وانت تراحالي وتعلم حالنا
وان رمت اخفي ما الاقي من الاسا وتبدي الدمع بالشكوا فتفني شيئا
وتعظمني الاشواق حتى اذا بدا جمالك لم املك لسانا ولا نطقا
اذا ما تمنى الناس روح الاحبة تمنيت ان افنى وسر الهوا بقي
جودك اخير قلب عبد قطعته اليك فلا عربا يرد ولا شرقا
تعطفا ولا تقطعه عنك فانه مقيم على باب الرجا ابدا ملقا
تحقق حبه في كل كلي وكل باطني ايضا وكلا
وغاب وجود وحدانا الوجد فيه فوجد الوجد في وجدي تلاشا
هموم في عيوب الغيب غابت الى محبوبها بقي الوصالا
فما الدارين في رويا كلا شي كلا شي جل مولانا تعالى
الا يا رحتي وسروري الا يا اعظم الاشيا مثالا
روي عن بعض الصالحين انه قال كان عندنا في الطفولية
شاب يتعبد فنظرة اليه امراة ذات حسن وجمال فشغفت
بما عليها فاكاد توقعت له في فريضة وهو

وقالت يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بعدن ثم امتنع ما شئت فمضى ولم يكلمها
ثم وقفت له بعد ذلك في طريقه وهو يريد منزله فقالت يا فتى اسمع
مني كلاما اكلمك ثم اصنع ما شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك
فاطرق مليا ثم قال لها هاذا موضع التهمة وانا اكره ان اكون مكان
فقالت قد علمنا يا معشر العباد انكم مثل الحمير ليس لكم
ما اكلمك به ان جوارحي مشغولة بك فالله الله في امري قال فمضى
الشاب ولم يكلمها ودخل الى منزله واراد ان يصلي فلم يعقل
فاخذ قرطاسا ثم كتب كتابا وخرج من منزله واذا بالمرأة
واقفة في موضعه فالقاها اليها الكتاب واذا فيه بسم الله الرحمن
الرحيم اعلمي ايتها المرأة ان الله تعالى اذا عصي حلم واذا عاد الى
المعصية ستره واذا يئس لها ملا بها غضب الله تعالى لنفسه
غضبة غضبت يضيق منها السموات والارض فمن ذا يطيق
وانا احذر كل يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن
ويحشر الامم لعرصة الجبار العظيم واني قد ضعفت عن
اصلاح نفسي فكيف اصلاح غيري وانا مشاغل عنك بقوله
تعالى وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين

من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور
فاين المهرب من هذه الاية ثم انها جاءت بعد ذلك بايام
ثم وقفت على الطريق فلما راها من بعيد راد الرجوع لكيلا
يراها ولا تراه فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعدها
ابدا الا على الصراط ثم بكت وتبعته وقالت امنن علي
بموعظة احملها عنك واعمل بها فقال اوصيك بحفظ نفسك
واذكري قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم
بالنهار فالصرفت وبكت وغشي عليها فلما افاقت قامت
وانشدت تقول والله ما حملت انثى وما وضعت انثى كلمة
في مصر واجالي لبست ثوب خشوع فخشع كرهه وذاكا فيه
بقا الخلق الباري ما ان نسيت ولا انساه ابدا انكوا اليه
سابات واعلالي فطرفه دامع من خوف سيده ياخذه شهاق
والدمع هالي ثم انها تابت توبة نصوحة وكانت اذا اخذها
مرتدعو بكتابه فتضعه على عينيها وكانت اذا جن عليها
الليل قامت الى محرابها وهي تشهد وتقول مالي علا فقدهم صبر
لاجلو وكيف اصبر عنهم ما بعد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

BIBL.
VNIVERS.
LIPS.

شبكة الألوكة
www.alukah.net